إسماعيل فتّاح

بلا حاجة للاختباء خلف القضايا والازمات ، يقف اسماعيل فتاح صحيحا قويا امام اللوحة . قضيته الاولى الشكل (form) ، وازمته الاهم الخلق ؛ يجرّد عمله بسهولة من الانفعال العاطفي والفكري ، ليعطي اللوحة كيانا خاصا جديدا يجد مكانه في نظامه بلا غرابة او افتعال .

فبعد المد الاول الذي اعطاه جواد سليم وفائق حسن وغيرهما لحركة الفن العراقي الحديث ، وبعد فترة الركود التي مرت منذ غياب جواد سليم الذي كان المجدد الاقوى في بغداد ، بقي الرسم يحمل آثار سليم واشكاله وابتكاراته ، وصار تعاطي ملامح الحياة العراقية في الرسم اجازة مرور سهلة مملة يختبىء خلفها القصور الفكري الذي يعانيه اغلب فنانينا. ولعل هذا جزء من صعوبة اعمال اسماعيل فتاح: كونها تبدأ تجربتها من منطلقات جديدة اكثر تقدما ، اعتدنا تسميتها – انهزاما من تحدياتها – غربية او دخيلة .

يأتي اسماعيل فتاح ليرفض مفاهيم اصبحت بحكم المسلمات في ممارستنا واحتكاكنا بالفن ، كالالتزام العقلاني للمجتمع والتراث والتاريخ والحضارة واحياء وقولبة الفنون القديمة كالفن المصري والسومري والاشوري والخط العربي الى آخر سلسلة لا تنتهي في الحضارات الشرقية الجميلة . يرفض ترميم التاريخ والسباحة في بحر اغلقناه حتى صار مستنقعا . ويأتي ببداية جديدة، تتجه بسرعة الى اواخر القرن العشرين ، تسابق مفاهيمه ومقاييسه ، تبدأ عنده ولا تدري اين تنتهي او ترفض ان تنتهي ؛ وهذا قدر يرافق العمل الاصيل الجريء ، المخاطرة – بان لا تصل في النهاية . وهنا يقع اكثر فننا الحديث قبل ان يبدأ، يرسم نهايته ويعود الطريق رجوعا ، ويبرر المشي بالمقلوب بحادثة تاريخية او ظاهرة اجتماعية يربط نفسه بها ويختبىء خلفها . اما الخلق، واضافة جديدة جدية الى الحياة والفن – فغربية، دخيلة ، وخارج الموضوع .

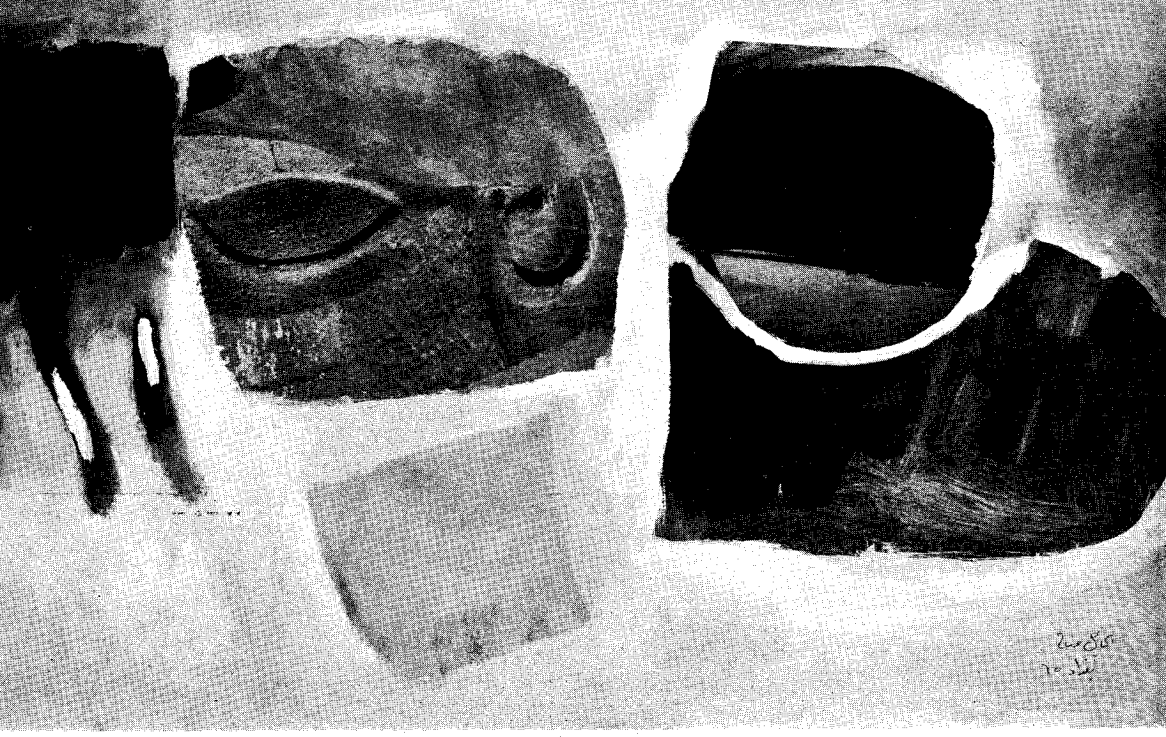

موضوع

لوحات فتاح تحمل الكثير من خواص فن آخر يتعاطاه : النحت . فيها كلها تركيز على الكتلة وترابطها بالفراغ او بكتلة اخرى ، ينحت طريقه الى النهايات الاكثر غرابة في عمله ، يتلاشى الشكل (figure) عنده بهدوء وبلا طفرات ، يغيّب اللون وينقله الى حالة عامل مساعد في اللوحة ، ولا يبقى الا الكتلة والفراغ والتركيب ، بينهـا ترابط عضوي مشحون بالازمة .

التجريد في لوحاته تجريد بسيط شفاف يكاد يقع، لانه يخلو من اكثر « العادات» التي اعتدنا خص التجريد بهـا ، واكثرهـا خواص بداية التجريد في الفن الحديث ، كاستعمال الرموز والمنطق الهندسي وتطوير الاشكال الهندسية ، والتجريد الانطباعي ، والبحث في المـادة للخروج بخواصها الطبيعية — ومـا يتبـع ذلك من حوادث لونية — الى سطح اللوحة ، الى ما لا نهاية له من التجـارب المدرسية في التجريد . التجريد عند فتاح وسيلة للوصول باللوحة قرب هدفها الاخير الغامض: تقصر عنه دائما ، لكنها تشير اليه . بهذا ، بالسر البسيط ، المتباعد ، الجميل، تتميز لوحات فتاح ، تحاول الاطلال عليه . لا يحـاول فلسفة ومنطقة وتفسير الفن . يكتفي « بتجربة رسم » تكتسب خواصها ومميزاتهـا اثناء حدوثها وحسب ضرورتها . ويجد التاريخ والتراث دربه بعفوية احيانا الى اعمـاله وضمن هذا المفهوم وحده .

وضاح فارس